دراسة في التوصيف اللاهوتي لطبيعة المسيح (عليه السلام) ومشيئته

د. حازم عدنان احمد

ملخص البحث

عمد الباحث الى بيان الدراسات اللاهوتية التي اخذت مجالاً واسعاً في توصيف المسيح (عليه السلام)، من حيث لاهوته وناسوته، ومشيئته، الذي اختلف المقال فيه، فهناك من ذهب الى ان المسيح(عليه السلام)، له طبيعة واحدة متجسدة، أي ان هناك اتحاداً حقيقياً بين لاهوت الكلمة وناسوته، وان الاله المتأنس شخص وليس اثنين.. أي لايوجد في المسيح الا الكلمة (اللوغوس)، العامل المجرد من الروح البشرية، فالاثنان يكونان وحدة واحدة. وهناك من ذهب الى ان للمسيح طبيعتين:(الكلمة، انسان). وان (اللوغوس) تجسد في الانسان يسوع، يعني انسان كامل التكوين: انسان مكون من روح بشرية.. وعلى هذه المقالة يكون المسيح ذات طبيعتين، أي ميز اصحاب هذا المقال بين لاهوته وناسوته.

Research Summary

Deliberately researcher to a statement theological studies took ample room in Christ characterization (peace be upon him), in terms of his divinity and his humanity, and his will, which differed article in it, there are those who went to Christ (peace be upon him), his one nature incarnate, that is, that there is a union real between the theology of the word, and his humanity, and God Incarnate person and not two .. does not have any in Christ, but the word (logos), abstract factor of the human spirit, be entirely Both are one unit. And from there he went to the two natures of Christ :(floor, man). And (Logos) embodied in the

man Jesus, I mean a man full configuration: a man composed of a human spirit .. and this article is of two natures of Christ, any distinction between the owners of this article to divinity and .his humanity

المقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى اله وصحبه اجمعين.

اما بعد:

فان الدراسات اللاهوتية اخذت مجالاً واسعاً في توصيف المسيح (عليه السلام)، من حيث لاهوتــه وناسوتــه، ومشيئته، وقد اختلف المقال فيه، فهناك من ذهب الى ان المسيح(عليه السلام)، له طبيعة واحدة متجسدة، أي ان هناك اتحاداً حقيقياً بين لاهوت الكلمة وناسوته، وان الاله المتأنس شخص وليس اثنين.. أي لايوجد في المسيح الا الكلمة (اللوغوس)، العامل المجرد من الروح البشرية، فالاثنان يكونان وحدة واحدة. وهناك من ذهب الى ان للمسيح طبيعتين:(الكلمة، انسان). وان (اللوغوس) تجسد في الانسان يسوع، يعني انسان كامل التكوين: انسان مكون من روح بشرية.. وعلى هذه المقالة يكون المسيح ذات طبيعتين، أي ميز اصحاب هذا المقال بين لاهوته وناسوته.

وقد عكس هذا الخلاف على الفكر الاعتقادي المسيحي قاد الى ظهور فرق عدة، ومقالات اخذت حيزاً كبيراً في السجالات الفكرية، ادى الى عقد المجامع المسكونية والاحتكام والخروج بوثيقة الاقرار الايماني المسيحي.

من اجل هذا ارتأيت ـ بعد التوكل على الله تعالى ـ ان امضي في فرز دراسة متخصصة في: (التوصيف اللاهوتي لمشيئة المسيح (عليه السلام)، وطبيعته في الدراسات اللاهوتية). لنبرز قضية رئيسة نعدها من اهم مشكلات البحث الا وهي بيان

التوظيف الفلسفي للتفسير الديني، واقحام الدين وبسطه على جوانب هامة من التأويل الفردي والجماعي ثم الخلوص الى نتائج عقلية عُدّت بجملتها اصول الايمان المسيحي، او المعتقد المسيحي.

وبالنظر الى النصوص المقدسة المعتبرة لدى القوم، فأخاضعها الى الفلسفة وتقييدها بخطوات الفلسفة التحليلية لايمكن البتة الاطمئنان والركون الى نتائجها. ذاك ان اخضاع النص الالهي لغير الضوابط التفسيرية المعتبرة عند العلماء المشتغلين في علوم الدين ومسائله يجني نتائج غير سليمة. والحال لا يحتمل في المسائل الالهية اعني بها الاخبار عن (الله) (عزوجل)، في ماهيته، وصفاته، واعماله، وعنايته، وكل مايدور في جلاله العظيم. لان كل هذا يحتاج الى الاخبار القطعي من الانبياء والمرسلين اذا ما اخبروا عن ذلك، لان الموحى به من عند الله تعالى، والانبياء والمرسلين (عليه السلام)، هم الامناء في تبليغ الناس ما نزل من عند رب الارباب (عزوجل)، عندها يكون التسليم واجباً ناطقاً بها اللسان والقلب.

الا أن الامر عند اللاهوتيين يختلف تماماً فهم يحاولون في مؤلفاتهم اعطاء مساحة فلسفية واسعة لشخص المسيح(عليه السلام)، فاقت العقل البشري المجرد، عندها يصبح العقل حيراناً بين الاتباع وبين فهم ما يتبعه وما يعتقده بالمسيح(عليه السلام).

واما خواص علماء الدين المسيحي فهم مختلفون، بل هم في اشد اختلاف بالطبيعة الواحدة والاثنتين، والمشيئة الواحدة والمشيئتين.. وغيرها، ليضحي معتركهم وحراكتهم الفكرية قائمة فهرطق بعضهم البعض الآخر. وتكونت بواكير الفرق المسيحية وكنائسها القائمة الى يومنا هذا.

وبالنظر الى المؤلفات اللاهوتية التي أُشغلت ابوابها بشخص المسيح(عليه السلام).. اتت نتاجاً تمخص عنها تعليماً اسموه (التعليم اللاهوتي)، لتكوين الثوابت الايمانية واخضاع العقلية البشرية العامية لذلك التعليم.. لذا عمدنا الى الانشغال بدراسة بعض

مؤلفاتهم اللاهوتية واعتمادها لانها جوهر بحثنا من جهة واعتمادهم العقدي عليها من جهة اخرى.

خطة البحث:

- ❖ المبحث الاول خصصته في بيان ماهية الله(عز وجل) وطبيعته ومشيئته وصفاته في الفكر اللاهوتي، وضمن المحاور الآتية:
  - اولا: ماهية الله (عزوجل) في الفكر اللاهوتي.
  - ثانياً: ماهية صفات الله (عزوجل) في الفكر اللاهوتي.
- ❖ المبحث الثاني وقد خصصته في بيان التوصيف اللاهوتي لمشيئة المسيح (عليه السلام)، وطبيعته، الذي هو جوهر دراستنا، وضمن المحاور الاتية:
  - اولا: التوصيف اللاهوتي للمسيح (الكلمة).
  - ثانياً: التوصيف اللاهوتي للعلاقة الاقنومية بين (اقنوم الاب، واقنوم الابن) .
  - ثالثاً: التوصيف اللاهوتي لتجسد الكلمة.
  - رابعاً: طبيعة المسيح(عليه السلام)، في التوصيف اللاهوتي.
  - خامساً: مقالات المذاهب المسيحية في طبيعة المسيح(عليه السلام)، ومشيئته.

ثم جاءت الخاتمة ونتائج الدراسة، وعززنا البحث بثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في الدراسة.

هذا ولا ادعي الكمال في دراستي، انما التوفيق من عند الله (عزوجل)، فان اصبت في الدرس والتحليل والتقويم، فمن عنده(عزوجل)، وان اخطات وزللت فمن نفسي .

والله اسال ان يوفقنا بمقصدنا العلمي، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وان يُمنّ علينا ببيان نوره الكريم ليكون مناراً للمهتدين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

المبحث الاول

توصيف الله(عز وجل) وطبيعته ومشيئته وصفاته في الفكر اللاهوتي

اولا: ماهية الله (عزوجل) في الفكر اللاهوتي.

١. تعريف اصحاب القاموس:

حاول اصحاب قاموس الكتاب المقدس اعطاء توصيفاً لله (عزوجل) في محاولة لحصر المعاني والدلالات وجمعها في التعريف الآتي:" الله هو اسم الخالق لجميع الكائنات والحاكم الاعظم لجميع العوالم، والواهب كل المواهب الحسنة والله روح غير محدد، ازلي غير متغير في وجوده وحقه، وهو يعلن لنا عن نفسه بطرق متنوعة، وفي احوال مختلفة متباينة، فيظهر لنا في اعماله، وتدبير عنايته ولكنه يتجلى غاية التجلي، ويظهر ذاته في الكتب المقدسة . وقد أعلن لنا نفسه باجلى بيان، وعلى اكمل كيفية في شخص ابنه الوحيد مخلصنا يسوع المسيح وعن طريق حياته وأعماله"[١].

هذا توجيه حسنٌ بالنسبة لعموم المتدينين، وخصوص الدارسين من رجالات الكنيسة واللاهوتيين، باعتبار الكتاب المقدس في توصيف الله(عزوجل)، باصحاحاته ، يقود هذا الاعتبار الى اتخاذ المنهج الموضوعي في التحري عن اصل اللفظ، ودلالاته التي تعطي الجدوى العلمية.

غير ان التعريف فيه نظر وبعد عميق، فقولهم: (اعلان الله عن نفسه وعلى اكمل كيفية تتجلى بابنه الوحيد..). فاننا نسلم لهم من جهة ان المسيح نبي ورسول كريم يخبر عن ربه، واما افراده من بين سائر الانبياء(عليهم السلام)، لا نسلم به البته ومهما تكن عقيدتهم ببنوة المسيح. لان الله تعالى ارسل رسلاً قبل المسيح(عليه السلام)، بفترات مختلفة، كلهم نطقوا بتوحيد الله (عزوجل)، وصفاته وافعاله.. شاهدنا في هذا المقام موسى(عليه السلام)، واسفاره المعتبرة عند المسيحيين التي لها موضع

[١] ينظر: قاموس الكتاب المقدس ، تاليف نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: ١/٧٧.

استدلال هام. وشريعة المسيح(عليه السلام)، هي متممة ومبينة ـ باعترافهم ـ بدليل اعتمادهم اسفار العهد القديم بجملتها، وضمها الى اسفار العهد الجديد ليصبح الكتاب المقدس بشقيه:(العهد القديم ، والعهد الجديد). والمطالع الناظر في اسفار موسى الخمسة يجد انها اعطت الاخبار الصريح عن الله تعالى وقوته في تكوين الخليقة، فضلاً عن صفاته، فالاسفار نطقت ودلت على الله (عزوجل). فتخصيص المسيح هنا بدلالته على الله (عزوجل)، لايستقيم من جهة انه متمم واخر انبياء بني اسرائيل.

٢. توصيف فلسفي لمعنى الله (عزوجل):

وضع احد فلاسفة المسيحيين توصيفاً فلسفياً لمعنى الله (عزوجل)، محاولاً حصر المعاني والصفات لله (عزوجل)، اذ قال في مقالته: ان الله جوهر كائن في ذاته، ازلي ابدي، عادم الفساد، خالد كامل، غير مفتقر الى شيء، لانه هو الذي يسد كل حاجة وعوز، لا احتياج له الى سواه، لانه هو الذي يهب ويغمر بفضله كل المحتاجين ، هو سرمدي لان كل ماله بداية له نهاية ايضاً، لا اسم له لان ماله اسم فهو مخلوق من غيره. لا لون له ولا شكل له لان من له هذه الخواص يعد ويحد. هذا الكائن لا ذكر ولا انثى لان من هو هكذا فهو خاضع لسلطان الآلام، لا يمتد تحت السموات لانه أعلى منها، لا ند له لان الند يجب ان يكون مساوياً لنده. لايتحرك ولايحصى ولا يعبر عنه لانه لا يوجد مكان يتحرك فيه أو اليه. وبما أنه لا يعد فهو لا يحد ولا يحيط به شيء لانه ماليء الكل وفائق على كل المنظورات وغير المنظورات[١].

وبالجملة فان صاحب المقالة حاول من خلال التعريفات حصر الصفات للوصول الى التنزيه المطلق لله (عزوجل). غير ان في مقالته نظرٌ وتقويم من جانب بعض فلاسفتهم ـ خاصة في قوله الله جوهر ـ منهم اوغسطين الذي يحذر من

[١] ينظر: علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الارثوذكسية، القمص ميخائيل مينا، القاهرة: ص١٢٣.

وصف الله (عزوجل)، بالجوهر، فيقول: " واذا قلنا أن الله محل المعاني، واذا اضفنا اليه صفات، فليس يعني هذا أنَّ في الله كثرة، وأنَّ الصفات متحققة فيه على نحو تحقُّقها في المخلوقات، فانَّ الله بسيط كل البساطة، وما نتصوره فيه هو عين الجوهر الالهي، بل يجب الاحتراز من تسميته جوهراً، لئلا يذهب الفكر الى أنَّ الله موضوع لصفات أو اعراض متمايزة منه، والاليق ان نقول (الذات)، لان هذا اللفظ لا يتضمن سوى معنى الوجود، والله موجود الى اعظم حد فلابد ان تكون صفاته عين ذاته[١].

غير ان مقالة اوغسطين لم يكن له اعتبار في التوصيف اللاهوتي خاصة عند النظر في مؤلفاتهم، تجد ان وصف الله بالجوهرية قائمٌ.

ثانياً: ماهية صفات الله (عزوجل) في الفكر اللاهوتي.

قالوا: ان الله (روح، غير محدد، سرمدي ازلي ابدي، غير متغير، عالم بكل شيء، ذو مشيئة، قادر، قدوس، عادل، صالح، حق، ذو سلطان).[٢] ويقال لهذه الصفات جوهرية ومشاعة ومطلقة، وذلك بخلاف الصفات الاقنومية الخاصة التي يتميز ويختص كل اقنوم من الاقانيم الثلاثة بخاصة منها، وهي:(الابوة والبنوة والانبثاق)[٣].

الذي يهم دراستنا من تلك الصفات صفتي: (المشيئة والقدرة). اللتان تندرجان ضمن عنوان البحث والخطة الدرسية .

---

[١] ينظر: تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، يوسف كرم، راجعه د. هلا رشيد امون، دار القلم: ٣٢

[٢] علم اللاهوت النظامي، القس جمس انس، راجعه القس منيس عبد النور: ص١٣٤

[٣] علم اللاهوت، القمص ميخائيل مينا: ص١٢٢.

١. مشيئة الله (عزوجل):

أ. ماهية مشيئة الله(عزوجل):

هي القوة التي بها يختار ما يفعله. ويبين الكتاب المقدس أن قضاء الله ومقاصده ومشورته وأوامره كلها صادرة عن مشيئته، والمشيئة صفة جوهرية لكل كائن روحي، وشرط ضروري لوجود الشخصية، فاذا ذكرنا مشيئة الله أهنّا شأنه، لاننا بذلك نجعله أدنى من خلائقه، وهذه المشيئة حرة، لان كل اعمال الله من الخلق والعناية واتمام المواعيد ليست اضطرارية بل اختيارية، ناشئة عن مشيئته[١].

لا نسلم للقس انس باننا اذا قلنا: (مشيئة الله اهنّا الله)، (تعالى الله علواً كبيراً)، بل كان الاجدر به ان يضع وصفاً ينماز الله به عن سائر مخلوقاته. فلابد من التمييز بين مشيئة الله (عزوجل)، وبين مشيئة العبد، فلا تقاس مشيئة القوة المختارة المريدة الى لا تحدها كيفية ولا نوعية، بمشيئة لها حدود وقابلية محددة ومنتهية، فالقياس هنا فاسد لانتفاء الشبه بين المشبه والمشبه به. ثم اننا اذا عمدنا الى دراسة مؤلفه نجد الفاظ مشيئة الله تخترق السطور.

ب. علاقة قضاء الله(عزوجل) بمشيئته:

قضاء الله هو مايشاء الله أن يعمله وما يقصد أن يجريه في المستقبل، وأوامره هي مايشاء أن تعمله خلائقه العاقلة، ولاتناقض بين هذين الامرين، لان الله لا يقضي أن يفعل شيئا أو يُلزم خلائقه بفعله وهو قد نهاهم عنه. ولكنه قضى بأن لايجبرهم أن يمتنعوا عن ارتكاب ما نهمم عن فعله، وهو لايمنع الناس عن فعل الخطيئة مع أنه نهى عنها، لانه أعطى البشر حرية الارادة. وهناك مشيئتان لله : (مشيئة الله السرية، ومشيئة الله المعلنة)، فالسرية هي مقاصده المكتوبة عنده، والمعلنة التي هي أوامره وما أظهره من مقاصده لخلائقه[٢].

---

[١] علم اللاهوت النظامي، جمس انس: ص١٤٣.

[٢] ينظر: علم اللاهوت النظامي، جمس انس: ص ١٤٣.

وكلمة المشيئة تستعمل في الكتاب المقدس بمعنيين: أ) مايرده الله. ب) مايقصده. فمتى قيل ان الله يشاء أن كل الناس يخلصون، فليس المعنى أنه قضى بخلاص الجميع، بل أنه يرغب في ذلك، فلانه شفوق يشاء خلاص الجميع، ولانه عادل لا يشاء خلاص غير تائب[١].

والادلة من الكتاب المقدس على ان الله قادر. كما جاء في سفر التكوين: " انا الله القدير"[٢]. وقال المسيح ما ذكره انجيل متى: " عند الله كل شيء مستطاع"[٣].

وقد قسم بعض اللاهوتيين قوة الله على قوتين: (قوة مطلقة، وقوة غير مطلقة)، فأما قوته المطلقة فهي الخليقة والعجائب والوحي وتجديد القلب. وهذه الاعمال تكون بدون وسائط. واما القوة غير المطلقة فهي تكون بالأفعال كالعناية الالهية..[٤]

٢. **ماهية قدرة الله (عزوجل) وارادته:**

أ. **معنى قدرة الله(عزوجل):**

معنى القدرة في التوصيف اللاهوتي الاستطاعة، فالله قادرٌ على كل شيء، أي كل شيء ممكن لقدرته ولا يوجد شيء غير مستطاع عنده[٥].ودليلهم من الكتاب المقدس: " عند الله كل شيء مستطاع"[٦].

ب. **علاقة قدرة الله(عزوجل) بالقوة والمشيئة:**

يتجه عقل الانسان الى ان قوة الله(عزوجل) غير محدودة، والله يقدر على كل مايشاء.. وهو يشاء فيصير كيف يشاء[٧]. فقوته لاتقاوم وسلطته

---

[١] ينظر: علم اللاهوت النظامي، جمس انس. ص١٤٤.

[٢] سفر التكوين: ١٧: ١.

[٣] انجيل متى: ١٩: ٢٦.

[٤] ينظر: علم اللاهوت النظامي، جمس انس: ص١٤٥.

[٥] ينظر: علم اللاهوت، القمص ميخائيل: ص١٣٠.

[٦] انجيل متى: ١٩: ٢٦.

[٧] ينظر: علم اللاهوت النظامي، القس جمس انس: ص١٤٤.

لاتخضع، بل يعمل حسب مشيئته ومقتضى قصده بدون احتياج الى وسائط ليستعين بها لان عظمته فائقة وقوته غير محدودة..[١].

ت. توصيف فلسفي:

ذهب الاكويني الى أن الارادة تتبع العقل من حيث انها الميل الى الخير المعقول، ومحبة هذا الخير متى حصل. فالله يريد ذاته على أنَّه خير وغاية، والله يريد غيره، فان من شأن الخير أن يشرك غيره في خيره، وهذا بالخصوص من شأن الخيرية الالهية. على ان الله يريد ذاته بالضرورة لأنها الموضوع الخاص المعادل لإرادته، ويريد غيره بالاختيار لان هذا الغير لا يزيد الخيرية الالهية شيئاً من الكمال، ولكنَّه هو موجه اليها على أنها غايته القصوى، ويبقى ان نتصور الاختيار الالهي بالمماثلة فننفي عنه ما يلابس اختيارنا من تردد وتغير ونقص..[٢]

وعلى هذا التوصيف فان الذي يصدر عن الله(عزوجل)، هو الخير كله، والله صالح هو يفعل الخير والمحبة والرحمة والنعمة، فهو يفعل الخير مع كل كائن حي.. وتتضمن الرحمة والمنعمة الشفقة واللطف وطول الاناة والميل للغفران. ومحبة القدوس للخطاة في اعجب صفات الطبيعة الالهية. وهدف الفداء هو أن يُظهر هذه المحبة ليظهر في الدهور الاتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح. ويظهر الصلاح الالهي للانسان بالمحبة والرحمة. فالمحبة مصدر الفداء، والرحمة تنفيذه. فكل من يطلب نصيباً من محبة الله ورحمته يجب أن يطلبه بواسطة الفداء بالمسيح، فقد عيَّن الله الفداء طريقاً تصل به الحياة الروحية وجميع بركاتها الى البشر[٣].

---

[١] ينظر: علم اللاهوت ، القمص ميخائيل مينا: ص١٣٠.

[٢] ينظر: تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، يوسف كرم:ص١٤٨.

[٣] ينظر: علم اللاهوت النظامي، القس جمس: ص١٤٤.

ومن هنا بدأت عقيدة النعمة المجانية تتبلور في الفكر اللاهوتي، وتاخذ مسارها العقدي، فنتيجة الخير النابع من ذات الله تعالى وقدسه، يصدر عنه اللطف والطهر الذي لابد من محو الخطيئة التي سارت في المجتمع، لان الشر ـ عندهم ـ دخل الى الارض بمعصية ادم(عليه السلام)، فتفرق الناس طوائف، والناظر لموضوع الشر في فكر اوغسطين يجده ينبه على عدم نسبته الى الله تعالى، فيقول: الله يسمح بالشر، ثم يستخرج منه الخير، مادام الشر عدما، فليس البحث عن علته بحثاً عن مصدر وجود، بل مبدأ نقص، وليس يكون مبدأ النقص الا في المخلوق..[١].

وكتابهم المقدس بث تعاليم عدة تنفي الشر عن الله، ويثبته للبشر الغارق في الخطايا، ومن تلك التعاليم:

أ. ان الله ليس مصدر الشر، يقول الله انه قدوس:" تكونون قديسين لأني قدوس الرب الهكم"[٢].

ب. ان الانسان مصدر الشر: " آثامكم عكست هذه، وخطاياكم منعت الخير عنكم"[٣].

من اجل نعمة الله الفائقة اللطف" ان الله استعمل وسائط كثيرة ليمنع الشر كالوحي، وأرسل ابنه ليكفر عن الخطية، وارسل الروح القدس ليجدد الخطاة ويقدسهم ويعلمهم الحق، وتدخل عنايته في توضيح فساد الخطية وتأديب الخطاة، ووضع خوف العقاب.. [٤]

---

[١] ينظر: تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، يوسف كرم:ص٤٢.

[٢] سفر اللاويين: ١٩: ٢و ٢١.

[٣] ارميا: ٥: ٢٥.

[٤] علم اللاهوت النظامي، القس جمس انس: ص١٥٣.

المبحث الثاني

التوصيف اللاهوتي لمشيئة المسيح (عليه السلام)، وطبيعته

مدخل:

ان الله تعالى يشاء ان يعطي المشيئة للعبد، لان فعل تلك المشيئة صفة محدثة، فلابد من حدوثها من مشيئة اخرى .. والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء، فأفعال العبد في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفة على مشيئة الله[١]. قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢] .

ومشيئة الله(عزوجل)، عبارة عن تجلي الذات والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو اعدام الموجود، وارادته عبارة عن تجليه لإيجاد المعدوم..[٣]. هذا كلام حسنٌ في ان مشيئة الله (عزوجل)، تسير على العبد على نحو ما اراد الله تعالى. واذا ما اعتبرنا المسيح(عليه السلام) ـ وهي عقيدتنا ـ عبداً من عباد الله الصالحين، قال تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [٤]. فتسير عليه مشيئة الله تعالى.

غير ان الفكر المسيحي اعطى توصيفاً عقدياً عن المسيح (عليه السلام)، ينماز عن العقيدة القرآنية . ويغايرها، اندرجت تحتها فلسفات معقدة صعبت على عوامهم، بل خواصهم في لبس منها، لان الاختلافات التنظرية الفكرية من قبل علمائهم قادت الى مقالات متنوعة في طبيعة المسيح ومشيئته. ولم تمكنهم من الخلوص الى العقيدة الحقة التي يطمئن اليها العقل والضمير الانساني. لذا فانهم يأتمرون بمجامع مسكونية تمخضت عنها الاطر العامة للايمان المسيحي، عندها تشرعن الايمان والعقيدة ضمن

---

[١] التفسير الكبير ، الفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٦/ ٧٥.

[٢] سورة التكوير: الآية (٢٩).

[٣] ينظر: التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، المطبعة الخيرية، مصر،ط١، ١٣٠٦:ص٩٤.

[٤] سورة ال عمران، الاية (٥٩).

قرارت تلك المجامع، بالرغم خالف من خالفهم من رجالاتهم ليؤول الامر الى تكوين الفرق المسيحية، وكل واحدة منها لها مقالاتها في المسيح (عليه السلام)، من حيث كينونته ومشيته وطبيعته .

لذا عند التحقيق يمكننا القول ان الديانة المسيحية، هي ديانة تاريخية تبلورت عقائدها عبر مراحل تاريخية بحسب الازمان التي انعقدت بها المجامع المسكونية، وقرارتها العقدية.

ولاجل الفهم العلمي الدقيق الذي نعده من ابواب التأصيل العلمي خصصنا دراستنا في هذا المبحث بالبيان والتحقيق في طبيعة المسيح(عليه السلام)، ومشيئته من منظور التوصيف اللاهوتي المبسوط في كتب القوم .

وسنجعل موضوعات المبحث تدور وفق المحاور الآتية:

اولا: التوصيف اللاهوتي للمسيح (الكلمة).

جاء في انجيل يوحنا عن ذكر الكلمة: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هو في البدء كان عند الله.[1]. فما معنى الكلمة؟

١. معنى الكلمة (العقل):

لُقب المسيح (عليه السلام) بالكلمة، وأصل تلقيب المسيح بالكلمة تعود الى اصل الكلمة اليونانية (لوجوس)، وتعني العقل، فالله خلق العالم بكلمته وعقله، والله عقله واحد، كما تقول: (حللت المسألة بعقلي)، وانت وعقلك واحد، عقلك يلد فكرة تنفصل عنه وتنشر في كتاب، وفي الوقت نفسه تكون الفكرة موجودة في عقلك، والله ناطق بالمسيح كلمته، الذي هو ابنه.. فالكلمة العقل، ومع ذلك يرسل العقل الكلمة لتنتشر وتهتدي الناس، وهي في الوقت نفسه موجودة في العقل والعقل فيه.. وهي حي بروحه، ويُطلقون

[1] يوحنا: ١: ١ ـ ٢.

على ذلك (الروح القدس)، فلا يمكن أن الله الذي خلق الحياة يكون هو نفسه غير حي بروحه، والله وروحه واحد[١].

٢. معنى الكلمة (الابن).

جاء في انجيل يوحنا ان الكلمة بمعنى الابن : " والكلمة صار بشراً وعاش بيننا، فراينا مجده، مجداً يفيض بالنعمة والحق، ناله من الاب، كآبن له أوحد"[٢]

والآب هو الذي أرسل الابن ويعمل به .. ومن هذه الاعتبارات فالمسيح فريد في هذا وهو [ابن الله] ليس من وجهة النظر الجسدية كما يفهم من الكلمة [ولد] أنما يفهم به كتشبيه ليعبر عن مقدار المحبة والتعاون والتساوي في الطبيعة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس.[٣]

اذن يفهم من ذلك كله ان هناك علاقة مكينة بين الاب والابن ومتساوية في الطبيعة، وهي تعبر عن معاني مقادير الحب الجلي بين اقنومية الاب واقنومية الابن، ليحصل بعدها انبثاق الكلمة.

٣. معنى الكلمة (الشعاع):

بنوة ابن الله ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ انما تشبهها بولادة الشعاع من الشمس تقريباً لفهم هذا السر العظيم فقط. وذلك لأنه كما أن الشعاع يصدر من الشمس طبيعياً فهكذا الابن يولد من الاب لا بتقدم الاختيار بل بحسب الطبيعة، وكما أنه لا يظهر ابداً جرم الشمس بدون شعاع فهكذا لم يكن الاب ابداً بدون الابن، وكما اننا نخطئ اذا قلنا اننا نعاين الجرم اولاً وبعده الشعاع فهكذا نخطئ ايضاً اذا اعتقدنا ان الاب وجد اولاً وبعده بزمن ولد

---

[١] علم اللاهوت النظامي/ القس جمس انس: ص١٥٧.

[٢] يوحنا: ١: ١٤.

[٣] قاموس الكتاب المقدس: ١/ ٧٨.

الابن، بل كما ان شعاع الشمس مساو للشمس في الوجود والزمن فهكذا الابن مساو للاب في الازلية والابدية. فتمثيل الابن (بالشعاع) يكشف لنا وجوده دائما مع الاب مشاراً له في الازلية، وتسميته بالابن تؤذن بمشاركته الاب في الجوهر[١].

مما تقدم فاننا نستطيع رسم ملامح طبيعة الكلمة ـ من خلال توصيفهم ـ وبذلك نكون حققنا طبيعة كلمة الله باعتباره (الابن)، التي لا تخرج عن المعاني الاتية:

أ. دعي (ابناً) لبيان مساواته للاب في الطبيعة.

ب. دعي (كلمة) لبيان كونه صورة الاب الكاملة.

ت. ودعي (شعاعاً) لبيان مساواته للاب في الازلية.

ث. ودعي (نوراً) لاعلانه الحق للناس.[٢]

نقد وتحليل:

١. قولهم: (ان الله (عزوجل) خلق العالم بكلمته وعقله، والكلمة هي العقل..)، لا دليل على مقالاتهم، ولا يمكن النظر اليه دون اسناده الى النص المقدس. وانما ما ننظر اليه الى ان قدرة الله تعالى في ايجاد الاشياء واعدامها ضمن مشيئته فهي واقعة بمحض ارادته.

٢. الكلمة ليست هي العقل كما زعموا بل الكلمة هي امر الهي صدرت بحق عيسى(عليه السلام)، وهي (كن)، فتأويل كلمة (كن)، انما تخليق المسيح من غير واسطة الاب فلما كان تكوينه بمحض قول الله (كن)، وبمحض تكوينه وتخليقه من غير واسطة الاب والبذر، لاجرم سمي: كلمة، كما يسمى

---

[١] علم اللاهوت، القمص ميخائيل: ص١٨٨ومابعدها.

[٢] المصدر نفسه: ص١٩٣.

المخلوق مخلوقاً، والمقدور قدرة.. [1]. لذا سماه (كلمة الله)، ولم يقل (ابن الله).

٣. اما كونه صدر من الله فهو مساويه في الازلية والجوهرية، فهذا اقحام فلسفي للدين، لا طاقة للعقل الركون اليه، لان الكون كله صدر عن الله (عزوجل)، وادم (عليه السلام)، صدر عن الله، وكل الخليقة صدرت عن الله (عزوجل)، وجملتها يجب ان تكون ـ على حد فلسفتهم ـ مساوية لله (عزوجل).

٤. اما قضية استعمالهم القياس في مسائل العقيدة فلا نسلم به البتة، لان العقيدة جوهر الدين ولبه القويم، تحتاج الى الاخبار الالهي المعصوم لاعن التحريف والتبديل، وهو امر جلي عند التبليغ لا لبس به ولا اختلاط، كي يلقى طريقاً سائغاً لعامة الناس كي يؤمنوا ويتأملوا ايمانهم. لذا يدحض قولهم: (صدور الابن من الاب كما يصدر الشعاع من الشمس..)، لانه غاية البطلان، ولان القياس له ضوابط معتبرة والقياس اعددناه باطل لانتفاء الشبه، والتشبيه باطل لان الله (عزوجل)، ليس كالشمس والا القمر، ولا أي شيء.. وانما ليس كمثله شيء.

٥. قولهم: ان الكلمة بمعنى (الابن)، كما جاء نصه في مفتتح انجيل يوحنا. فالاخبار من يوحنا نفسه، ولا لعيسى (عليه السلام)، عبارة له فيها. والدليل: فقرة: (عاش بيننا)، والخطاب للمتكلم، صاحب الوصف، ولا يمكن نسبه للمسيح البتة. ولم يقل اني : (كآبن الله الاوحد)، بل هذا كلام مؤلف الانجيل. ولا حجة لهم فيه، لاننا فيما تقدم قلنا ان الامور العقدية لابد ان تكون صادرة عن الله تعالى مخبراً بها النبي مؤيدة بالنص المقدس. اما الكلام يعود ضميره الى غير الله (عزوجل)، ولا المسيح (عليه السلام)، فهو مردود لا مناص له.

---

[1] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي : ٨/ ٣٥ومابعدها.

مما تقدم نستطيع القول ان التاويل الفلسفي اخذ حيزاً واسعاً في اقحام الدين، وتقويضه، ضمن جهد فكري بشري لا تحيطه عصمة الخطأ.

ثانياً: التوصيف اللاهوتي للعلاقة الاقنومية بين (اقنوم الاب، واقنوم الابن) .

١. معنى الاقنوم:

كلمة اقنوم (Hypostaiss)، باليونانية هي (هيبو ستايس)، وهي مكونة من مقطعين: (هيبو): وهي تعني (تحت)، و(ستايس): تعني (قائم)، أو (واقف)، وبهذا فان كلمة هيبو ستايس تعني تحت القائم.

ومعناها لاهوتياً: مايقوم عليه الجوهر أو مايقوم فيه الجوهر أو الطبيعة. والاقنوم هو كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به، وله ارادة ، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الاقنومين الآخرين بغير انفصال[١].

بينما يرى القمص ميخائيل ان الاقنوم كلمة سريانية الاصل، تشير في مسماها الى كائن حي قدير مستقل بذاته ينسب افعاله الى نفسه أو جوهر روحي شخص لطبيعة قابلة الاشتراك بكثير من شأنه ان يقيمها بذاته ويحجز عن الاشتراك، أو هو قيام الطبيعة الجوهري الذي يقوم به تقوم وتنفرد بذاتها.[٢]

ومهما تكن اصل كلمة أقنوم، فانها دالة على معنى كائن مستقل له الارادة والقدرة. وعلى هذا يكون لكل اقنوم من الاقانيم الثلاثة كل المعاني المذكورة في التعريف. فضلا على انها متساوي في الجوهر، خلافاً لمن احترز اطلاق لفظ الجوهر على الله (عزوجل). من فلاسفة المسيحيين.

---

[١] ينظر: موقع: st– takia. Org ، موقع مسيحي: تاريخ الزيارة ٢٠١٥/٧/١٥م.

[٢] علم اللاهوت: ١٦٨ص.

٢. العلاقة الاقنومية بين (اقنوم الاب، واقنوم الابن):

لقد دعا الاقنوم الاول (ابا أو والداً)، والاقنوم الثاني (ابناً أو مولوداً)، ولما كانت ولادة ابن الله ليست من نوع التوليد الذي هو عبارة عن انتقال من اللاوجود الى الوجود وكلاهما في المادة تسامى الله عنها.[١]

وقد عبر الكتاب المقدس عن العلاقة الازلية بين الاقنوم الاول والاقنوم الثاني، بالاب والابن، وبان الابن مولود من الاب يسمى: (ابنه الوحيد)، و (المولود منه)، فعلاقة الابن بالاب هي علاقة البنوة، والظاهر أن كلمة (ابن)، تشير الى وحدة الطبيعة، لان المولود دائماً طبيعة والده، أو تشير للمشابهة، أو تشير الى عظمة المجد، أو تشير الى معنى مكتوم عنا يفوق ادراكنا[٢].

ودليل صاحب هذا القول ما قاله المسيح: " كل شيء دُفع اليَّ من ابي، وليس احد يعرف الابن الا الاب، ولا أحد يعرف الاب الا الابن، ومن أراد الابن ان يعلن له"[٣]. فقد دعا المسيح نفسه في هاتين الآيتين (ابناً)، باعتباره الهاً بدليل ان الكلام فيهما هو شأن طبيعته الالهية[٤].

تبين من توصيفهم علاقة الابن بالأب، فضلاً على انهم يسندون توصيفهم الى اصحاحات الكتاب المقدس.

ثالثاً: التوصيف اللاهوتي لتجسد الكلمة.

مما تقدم علمنا ان الكلمة الابن ـ حسب توصيفهم ـ متساوية مع الاب في الصفات والطبيعة. ولكن هل تبقى الكلمة على صفاتها اللاهوتية عند التجسد؟ وهل هناك توصيفاً اخر لمعاني التجسد؟ وقد نجد توصيفاً من واقع مؤلفاتهم:

---

[١] علم اللاهوت: ص١٨٧ ومابعدها.

[٢] علم اللاهوت النظامي، القس جمس انس: ص١٦٨.

[٣] انجيل متي: ١١ : ٢٧، لوقا: ١٠: ٢٢.

[٤] ينظر: قاموس الكتاب المقدس: ٧٨/١، وعلم اللاهوت النظامي: ص١٧٠.

١. معنى التجسد في التوصيف اللاهوتي:

يرى اثناسيوس ان التجسد هو (الاعلان الالهي)، فقال مقالته: " ان تجسد الكلمة الابن هو لإعلان الاب نفسه وتقديم الانسانية لله الاب في شخصه هذا الهدف هو الذي جعل الابن يبيد الموت .."[١]

ويذهب القس انس الى ان التجسد : " هو تجسد ابن الله، وذلك من اعظم عقائد المسيحية، فان ابن الله الوحيد ولد في ملء الزمان من مريم العذراء بالروح القدس. وصار (عمانوئيل)، أي (الله معنا)، وعاش نحو (٣٣) سنة كانسان على هذه الارض بين ابناء جنسنا، وبذلك تم التجسد المجيد، غير ان ذلك الشخص العظيم لايزال في حال التجسد بعد صعوده من هذا العالم . فهو اله متجسد الان والى الابد، وفي حال المجد والارتفاع كما كان في حال الذل والاتضاع.. وهذا التجسد هو اساس عمل الفداء وشرط ضروري ليتمم المسيح وظيفته الفدائية للبشر، وهو الواسطة العظمى لاتمام قصد الله في الفداء، والمحور الذي تدور عليه المقاصد الالهية في خلاص البشر[٢].

٢. صفة المتجسد(قدوسٌ) قبل الولادة وبعدها .

يقول الاب متى المسكين: " أن الناس يمكن أن يُدعوا آلهة بحسب التوراة إذا صارت إليهم كلمة الله، ولكن المسيح بنوع ممتاز لم تَصِرْ إليه كلمة الله؛ بل كان هو "كلمة الله"، فكان من الحق أن يُدعى إلهاً وابناً لله، لأن الآب قدَّسه حال تجسده فصار قدوساً دون جميع الناس وأرسله كما جاء على فم الملاك للقديسة العذراء مريم " القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله[٣]". معنى هذا أن تقديس المسيح لم يتم بعد

---

[١] ينظر: محاضرات في تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي، د. جورج حبيب بباوي، موقع الدراسات القبطية الارثوذكسية/ ٢٠٠٩م:ص٧.

[٢] علم اللاهوت النظامي: ص٣٧٣.

[٣] انجيل لوقا: ١: ٣٥.

ولادته؛ بل هو القدوس أصلاً والمولود كذلك، فهو إن كان يقول إنه ابن الله، فذلك ليس ادِّعاء بل هو ظاهر أمامهم قولاً وفعلاً أنه يعمل أعمال الله، لا كأنه يستوحي العمل من الله كأحد الأنبياء القديسين، ولكنه يعمل نفس عمل الله بتلقائية تنطق بصورة عملية أنه يعمل بسلطان الله ذاته.[١]

٣. المتجسد هو الاله الخالق:

على ما يبدو ان هناك فلسفة في فكر (اثناسيوس الرسولي) فهو يسلسل التجسد، ويُقفهُ على الصلاح الالهي، ومحبة الانسان، فيصف الكلمة المتجسدة بـ:

أ. الكلمة خالق، ولذلك هو لا يقبل أن يرى انحلال وسقوط الخليقة، كان بالأولى ألاَّ يخلق، لان ترك الخليقة يعلن عدم صلاح الله الكلمة، وبالتالي عدم صلاح الاب نفسه.

ب. الكلمة لم يكن له جسد، فهو الاله الذي قبل التجسد بسبب محبته للبشر، وعندما أخذ الجسد من العذراء وبدون زواج أكد أنه الاله الخالق[٢].

فتظهر لنا نتيجة جلية أن التجسد له اسباب مرتبطة بالله (عزوجل). وعلى ما يبدو ان هذه المقالة معتبرة عند الكنيستين الارثوذكسية والكاثولكية[٣].

٤. كيفية التجسد في مريم (عليها السلام)، ومقالات علمائهم:

مر معنا في انجيل يوحنا:" والكلمة صار بشراً وعاش بيننا، فراينا مجده، مجداً يفيض بالنعمة والحق، ناله من الاب، كابن له أوحد"[٤].

---

[١] ينظر: القاب المسيح في اللاهوت، الاب متى المسكين، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت:١/٥.

[٢] ينظر: محاضرات في تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي، د. جورج حبيب بباوي: ص١١ ومابعدها.

[٣] ينظر: سر التجسد، بحث منشور على موقع الموسوعة الحرة: تاريخ الزيارة ١٥ تموز ٢٠١٥م.

[٤] يوحنا: ١: ١٤.

ولهذا تفسير؛ فان اطلاق لقب (الكلمة المتأنس) في اشارة الى أن الكلمة قد تدرعت جسداً فغدت يسوع.. وبالتالي فهو (أُلقي) الى مريم، ومنها (تأنس)، وطبيعة (الكلمة) الملقاة لم تختلط بالطبيعة البشرية ورغم ذلك لم تنفصل عنها. يقول القديس اوغسطنيوس ـ احد اباء الكنيسة ـ ان الكلمة المتجسدة اخذ بداية ناسوته من مريم العذراء(عليها السلام)، لكن ليست هذه هي بداية الكلمة فكلمة الله خالدة.[١]

وعند التحقيق نجد الامام الباقلاني(رحمه الله) ـ وهو من علماء الاسلام ـ نقل مقالات علمائهم وجمعها في كتابه التمهيد: " منهم من قال: ان كلمة الله انقلبت لحماً ودماً بالاتحاد، وزعم آخرون: ان اتحاد الكلمة بالناسوت الذي هو الجسد هو اتخاذها هيكلاً ومحلاً، هو تدبيرها الاشياء عليه وظهورها فيه دون غيره. وقد اختلفوا فيس معنى ظهور الكلمة في الهيكل، وادراعها له فقال اكثرهم: معنى ذلك انها حلته ومازجته مزاج الخمر بالماء. وقال آخرون: ان اتحاد الكلمة بالجسد ليس على معنى المزاج وكظهور نقش الخاتم في الشمع من غير حلوا النقش بالشمع. وقال بعضهم: ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح على معنى انها حلته من غير مماسة ولا ممازجة كما اقول: ان الله سبحانه حال في السماء، وليس بمماس لها ولا مخالط، وكما اقول: ان العقل جوهر حال في النفس وهو مع ذلك غير مخالط للنفس ولا مماس لها، وزعم آخرون الذين هم الملكانية : ان معنى اتحاد الكلمة بالجسد أن الاثنين صارا واحدا وصارت الكثرة قلة، وصارت الكلمة وما اتحدت به واحداً" [٢].

هذا جمع حسن بالنسبة للتحقيق، اذ جمع الباقلاني جُل تواصيفهم للكلمة المتجسدة في مريم (عليها السلام)، والامام الباقلاني كانت حياته مابين القرنين الرابع والخامس

---

[١] ينظر: سر التجسد، بحث منشور على موقع الموسوعة الحرة.

[٢] التمهيد ،الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت،١٩٧٥م:ص٨٦.

الميلاديين. في حين كانت عقائد القوم تتبلور تبعا للمجامع الكنسية عبر الانعقاد الزماني والمكاني.

نماذج من مقالات اباء الكنيسة [١] في التجسد:

١. اغناطيوس الانطاكي[٢]:

وقف على عقيدة التجسد والاتحاد بين الجسد وبين الكلمة (الكلمة صارت جسدا)، فبين ان هذا الاتحاد تم في المسيح بين (الكلمة والجسد)، كان واضحاً في تصرفات المسيح، فهو كان يتعب ويأكل ويشرب لانه انساناً، وكان يعمل المعجزات لانه الله.

كما وقف على بشرية المسيح والمصدر الالهي، فيقول: انه اصبح كمخلوقاً بالتجسد، وغير مخلوق باللاهوت، فان الجسد الذي ولد من مريم العذراء يربط يسوع بالبشرية، ولكن الكلمة التي صارت جسدا هو من الله بل الله في نفسه وهو الذي يربط بالله..[٣].

---

[١] يطلق على هؤلاء الآباء بـ (الآباء المدافعين) ، وقد حاولوا اقناع اليهود وارضائهم المحافظة على عقيدة التوحيد كأساس جوهري، فاضطروا الى ان يبحثوا عن حلول لمشكلة الوهية المسيح، وكذلك لصرف المسيحيين الوثنيين عن اعتقادهم بكون المسيح الها كبقية الالهة، وذلك من خلال شرح عقيدة التوحيد.. ويمكن القول ان هؤلاء المدافعين هم الذين صاغوا علم اللاهوت المسيحي، او انهم لهم الاثر الاكبر في صياغته..ينظر:تاريخ الفكر المسيحي،حنا خضر١/ ٤١٢، وموسوعة الاديان في العالم، المسيحية، ٢٤.

[٢] اغناطيوس: ولد سنة (٣٥م)، في انطاكيا ، ويعتقد ان اصله سوري يوناني، ويقال انه قبل الايمان على يد الرسل ، ونصب اسقفاً لكنيسة سنة (٦٩) او (٧٠م)، واتخذ لنفسه لقب (ثيوفروس) يعني حاملا الاله تيمناً وتركاً.. ينظر: كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، اسد رستم، المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٨١م،١/ ٥٠.

[٣] ينظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري، دار الثقافة، القاهرة،١٩٨١م: ١/ ٤٢٨

٢. ايرناوس[١] :

قارن بين المسيح (عليه السلام) وآدم الاول، فبنى نظريته اللاهوتية على : ان الله خلق آدم صالحاً وخالداً، ولكنه فقد الصلاح والخلود بسقوطه وعصيانه، وما اضاعه آدم قد أعاده المسيح_الكلمة المتجسد الذي يكمل الان كل الاشياء الناقصة ـ فبنى من ذلك قاعدة لاهوتية ـ فيقول: نحن نتبع المعلم الاوحد، كلمة الله ربنا يسوع المسيح الذي صار من فرط محبته المنزهة مثلنا لكي يرفعنا الى ما كان عليه. ـ ويعلن ـ ان المسيح هو آدم الثاني، كذلك قال ان العذراء هي حواء الثانية..[٢].

٣. اوريجانوس[٣]:

يعتقد اوريجانوس ان الكلمة انبثقت عن الاب، وهذا الانبثاق لا يعد تقسيماً في ذات الله، بل هي روحية بحتة ، والابن لاتحاده بالكلمة فهو صورة الله غير المنظورة، وهو ازلي لا بداية له، ولان الكلمة والابن انبثقا من الله ومولدان من جوهر الهي فهما الله ـ وبهذا يلاحظ انه أول من صاغ عقيدة الطبيعة الواحدة ـ طبيعة الابن والله واحدة، ولكن الابن هو اله ثان .. اي ان الابن اقل من الاب درجة وتابع له..[٤].

---

[١] ايريناوس : ولد ما بين سنة (١٢٠ـ ١٥٠م)، وترعرع في سميرنا (ازمير)، انتقل من هناك الى مدينة ليون الفرنسية ، واصبح هناك شيخا في الكنيسة ثم صار اسقفاً في ليون.. ينظر: تاريخ المسيحية ، حبيب سعيد، دار الجيل للطباعة ، مصر، ١/ ١٣١.

[٢] تاريخ المسيحية ، حبيب سعيد، دار الجيل للطباعة ، مصر:١/ ١٣٢.

[٣] ولد حوالي سنة ١٨٥م، من عائلة مسيحية، وكان والده ليونيداس اول معلم له، وقد حفظ مقاطع من الكتاب المقدس في صغره، ويعد من اعظم الشخصيات التي لعبت دوراً في الحياة الفكرية المسيحية خاصة بالنسبة للتعاليم اللاهوتية ، عين مدرسا في مدرسة الاسكندرية اذ كان يعطي الدروس للاطفال ثم اصبح مديرا لها فكان يدرس اللاهوت ن والكتب المقدسة والفلسفة اليونانية والطبيعية.. ينظر: دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، الاب حان كمبي، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م، ط(٢)، ٨٩/١. وتاريخ الفكر المسيحي،٥٤٢/١.

[٤] تاريخ الفكر المسيحي،٥٥٦/١.

اضواء على فلسفة التجسد :

هناك فلسفة للتجسد ولها توصيف ينماز عما ذهبوا اليه اصحاب المقالات ، قد تأخذ بعداً ادق لمعاني التجسد؛ ذكرها صاحب كتاب : (محاضرات في تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي)، وهذه مقالته اللاهوتية:

١. كان الناسوت الذي أخذه من والدة الاله هو ناسوت، لايختلف عن اجسادنا كنا نحن فيه بسبب اتحادنا معاً في طبيعة انسانية واحدة.
٢. لم يكن الناسوت غريباً أو خارجاً عن اقنوم الابن. بل سكن في الجسد وحل بالجسد. اتحد الجسد وجعله (اداة) كان الناسوت فيه.
٣. وفيه تحول الناسوت من الموت والفساد الى عدم الموت وعدم الفساد وعدم الالم. هذا التحول الارادي تم في الداخل، ولكنه تم مُعلناً ايضاً في الخارج. ولكي يعلن الكلمة عن هذا التحول. (وُلدَ، مُسِحَ، مات، دُفِنَ، قام ، ثم صعد حياً).

- وَلد: فوضع أساس البداية الجديدة.
- مُسح: فأسس المسحة لكي ننال فيه مسحتنا.
- مات: فقهر الموت على الصليب.
- قام: فاعلن الخلود.
- صعد: فجلس عن يمين الرب. واعد لنا طريقاً جديداً، لكي نجلس معه على ذات عرشه الالهي.. فاذا كانت هذه علاقة تحول يتم في داخل كيان الابن المتجسد، فمن هو المستفيد؟ لا يستطيع الا مكابر أو جاهل ان يقول: (كان الرب محتاجاً)، ولكن الذي يسعى الى الشركة والاتحاد بالمسيح هو الذي يطلب هذه الشركة، وهو الذي يطلب الاتحاد..[١].

[١] ينظر: محاضرات في تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي، د. جورج حبيب بباوي: ص١٦.

ثم يذهب صاحب كتاب محاضرات في التجسد الى بيان مقالة (اثناسيوس)، في قضية (اتحاد اللاهوت بالناسوت ويعده اساساً لاتحادهم بالرب يسوع). فيقول: تحول ناسوت الرب بسبب حلول وسكنى الكلمة فيه، وحسب توصيف اثناسيوس: [1] " الكلمة غير مائت لانه ابن الاب غير مائت"، فالكلمة يشترك مع الاب في ذات الصفة الاقنومية، وهي عدم الموت، ولكن الكلمة غير المائت: " اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، حتى انه عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع يصبح جديراً ليس فقط ان يموت عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" . ان ما تحقق في الرب يسوع، انما يتحقق فينا نحن والا فَقَدَ التجسد غايته لذلك يقول اثناسيوس: " ومن ذلك الحين فصاعداً يُمنع الفساد من أن يسري في جميع البشر بنعمة القيامة من الاموات". لقد جاء الاتحاد بما هو غير ممكن لقدرات الانسان " وهكذا باتخاذه جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر، وباتحاده بهم، فان ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الاموات، بل لقد فَقَدَ الفساد (سلطانه)، على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة الجسد" . هكذا جاء التجسد بتحول تام في كيان الانسانية كلها، وصار تجسد الكلمة هو اتحاد الكلمة بكل البشر.[2]

رابعاً: طبيعة المسيح(عليه السلام)، في التوصيف اللاهوتي.

تقدم في المبحث الاول من دراستنا التعريف في ماهية الله (عزوجل)، وصفاته في التوصيف اللاهوتي، فضلاً عن مشيئته وارادته وقدرته. وان مشيئته تجسدت

[1] كل عبارة وضعت بين قوسين صغيرين وتحتها خط في هذا المقام يعود الى كلام اثناسيوس، وليس للمؤلف د. جورج بباوي، لان الاخير ينقل مقالات (اثناسيوس)، من كتابه تجسد الكلمة . ويحاول تحليل عباراته، ويعلق عليه في ثنايا مُولفه.

[2] ينظر: محاضرات في تجسد الكلمة، د. جورج بباوي: ص١٦ وما بعدها.

بالكلمة والله قادرٌ، ويتجلى الصلاح الالهي للإنسان بالمحبة والرحمة.. ولأنه شفوق يشاء الخلاص للجميع.

غير انه لابد من بيان التوصيف اللاهوتي لطبيعة الكلمة التي هي المسيح بعد التجسد، فماهي طبيعته ومشيئته وهو يسير على المعمورة، وهل بقى على تساوي تام مع جوهر الله (عزوجل) كما وصفوه ضمن الاقنومية الثلاثية؟

١. شخص المسيح(عليه السلام) بعد التجسد.

ينسب الكتاب المقدس للمسيح كل صفات الناسوت وكل صفات اللاهوت معاً في شخص واحد، فقيل في ناسوته انه ذو جسد، مولود من امرأة، كان ينمو في القامة، ويرى ويشعر به ويلمس، وانه ذو نفس كانت تتعب وتفرح وتحزن وتنو في الحكمة وتجهل بعض الاحوال والامور، وقيل في شان لاهوته انه اله على الكل، عالم بكل شيء قادر على كل شيء ازلي، ولذلك يعلما الكتب ان الجوهرين المجموعين في شخصه(أي الناسوت واللاهوت)، طبيعتان متميزتان[١]

ومما جاء في الانجيل: " الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عَمِلَ العالمين، الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم[٢] "

وقد اعطى الاب متى مسكين لهذا النص الانجيلي معاني جلية نستطيع منه بيان شخص المسيح (عليه السلام). فيقول: واما قوله : " الذي هو بهاء مجده" أن المسيح هو إشعاع يعكس بطبيعته مجد الله. وهذا الوصف قائم أساساً على علاقة طبيعة المسيح بطبيعة الله على أن طبيعة الله هي مجده، ومجده هو نور. وهذا هو ما

[١] علم اللاهوت النظامي، القس جمس انس: ٣٧٧.

[٢] رسالة الى العبرانيين: ١: ١ ـ٤.

اصطلح عليه الآباء القديسون الأوائل بمقولة لاهوتية صارت جزءاً لا يتجزأ من إيماننا، أن المسيح هو (نور من نور).فإن كان (الله هو نور لا يُدنى منه)، فالمسيح كابن الله هو كما قال عن نفسه:(أنا هو نور العالم)، وكما شهد له القديس يوحنا واصفاً طبيعة المسيح:" كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم " [١] .ثم يعود القديس يوحنا ويصفه هكذا:" وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة " [٢].

وقوله: " ورسم جوهره"

وله توصيفان:

أ. المسيح هو الممثل لشخص الله.

ب. المسيح حامل لذات الطبيعة أو الصورة لشخص الله.

فإن قال الله في العهد القديم عن شخصه: (أنا هو الأول والآخر)[٣]، فالمسيح قالها عن شخصه بتأكيد: أنا هو الأول والآخر... الألف والياء، البداية والنهاية. بمعنى أن الله في ذاته يحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء ولا حتى الفكر، فهكذا هو المسيح بالمثل. وقد أكَّد المسيح مراراً هذه الحقيقة أنه حامل لذات صورة شخص الله: (الذي رآني فقد رأى الآب)[٤]، ولكي يحسم وحدانية الآب والابن ويحرم أي فكر من أن يفكر في ثنائية الآب والابن، قالها واضحة أشد الوضوح وبتأكيد: «أنا والآب واحد» [٥]؛ بمعنى أن الآب والابن – بالرغم أن الآب هو دائماً آب، والابن هو دائماً

---

[١] انجيل يوحنا: ١: ٩.

[٢] انجيا متى: ٣: ١٩.

[٣] سفر اشعياء: ٤٤: ٦، ٤٨: ١٢.

[٤] يوحنا: ١٤: ٩.

[٥] يوشع: ١٠: ٣٠

ابن في الواقع المطلق – إلا أنهما ذات واحدة، وكيان واحد، وهذا أوضحه بقوله: (أنا في الآب، والآب فيَّ.)[١]

وخلاصة هذه المعلومة الإنجيلية القائلة بأن المسيح هو:(رسم جوهره) ومن واقع التعريف والشرح الذي أوضحناه، ندرك ما قاله الآباء القديسون بمقولتهم اللاهوتية التي دخلت في قانون الإيمان القويم: إن المسيح (إله حق من إله حق). فمن جهة طبيعة المسيح بالنسبة لطبيعة الله الآب: هو "نور من نور". ومن جهة شخص المسيح بالنسبة لشخص الله الآب: هو (إله حق من إله حق).[٢]

خامساً: مقالات المذاهب المسيحية في طبيعة ومشيئة المسيح(عليه السلام).

١. تحقيق اصل الخلاف:

اختلفت مقالات المذاهب المسيحية في طبيعة المسيح(عليه السلام): " هل طبيعته طبيعة واحدة، لانه اله، ام ان له طبيعتان، طبيعة الهية وطبيعة انسية، لانه ابن الله، وابن الانسان معاً؟ فقد جاء من مريم ومريم من البشر، فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت على حد تعبيرهم.."[٣]

والناظر في التاريخ المسيحي يجد ان الخلاف في هذا متقدم جداً، اذ ظهر في القرن الرابع الميلادي اتجاهان عقديان كانا لهما الاثر الجلي في بلورة الاعتقاد المسيحي:

أ. الاتجاه العقدي الاول الذي تبنى مقالة (الكلمة، الجسد)، أو (اللوغوس، الجسد)، وتجذر عن هذا الاتجاه مجموعات ثلاث:

- جماعة الآريوسيين، وهذه مقالتهم: الكلمة حلت في الجسد بدون روح بشرية، فالمسيح هو الكلمة والجسد بدون روح بشرية عاقلة.

---

[١] يوحنا: ١٤: ١٠.

[٢] ينظر: القاب المسيح في اللاهوت، متى مسكين: ٦-٨.

[٣] الاسفار المقدسة، د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر الفجالة/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ط(١): ١٠٨.

- جماعة ابو لوناريويس، ومقالتهم: ان المسيح مكوّن من الكلمة (اللوغوس)، ثم الجسد. والكلمة حلت محل الروح البشرية في الجسد. وتعليل هذا: ان وجود الروح البشرية في المسيح يسبب صراعاً داخلياً في المسيح ويقلل من لاهوته.
- جماعة مدرسة الاسكندرية، اكتفوا بالقول ان للمسيح جسداً، ولم يصرحوا بوجود روح بشرية في المسيح[١].

وعلى تلك المقالات يكون المسيح ذات طبيعة واحدة متجسدة، أي ان هناك اتحاداً حقيقياً بين لاهوت الكلمة وناسوته، وان الاله المتأنس شخص وليس اثنين.. أي لايوجد في المسيح الا الكلمة (اللوغوس)، العامل المجرد من الروح البشرية، فالاثنان يكونان وحدة واحدة..[٢].

ب. الاتجاه العقدي الثاني الذي تبنته كنيسة انطاكية، وذهبت بالقول الى: (الكلمة ، انسان). وان (اللوغوس) تجسد في الانسان يسوع، يعني انسان كامل التكوين: انسان مكون من روح بشرية..[٣]. وعلى هذه المقالة يكون المسيح ذات طبيعتين، أي التمييز بين لاهوته وناسوته.

وعلى هذا الظهور اضحى لدينا اتجاهان في العصور المتقدمة حول طبيعة المسيح (عليه السلام)، فالاتجاه الاول اعتمدوا مقالة:(الطبيعة الواحدة) ـ خاصة مدرسة الاسكندرية ـ ويفسر مقالتهم البابا شنودة، فيذهب بالقول الى ان: "السيد المسيح هو الاله الكلمة المتجسد له لاهوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير اتحاداً كاملاً اقنومياً جوهرياً تعجز اللغة ات تعبر عنه وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلق ولايفترق.."[٤]. واما الاتجاه الثاني ـ المتمثل بكنيسة انطاكيا ـ فقد شددوا

---

[١] تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري، القاهرة، دار الثقافة، ط(١)، ١٩٨١م:١/٦٠

[٢] ينظر: كنيسة مدينة الله العظمى، اسد رستم، المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٨٨م: ٣١٠.

[٣] ينظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري، :١/٦٢.

[٤] طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الاكليريكية للاقباط، القاهرة، ١٩٩١م: ص٧.

على وجود الطبيعتين، فالتجسد عندهم ـ كما يفسره الخضري ـ : هو تجسد الله في انسان كامل التكوين وهو المسيح..[١].

ومع اشتداد الخلافات والمواجهات بين الكنائس ورجالاتها ـ لامجال من تفصيلها ـ في طبيعة المسيح ومشيئته، قاد الامر الى انعقاد المجامع المسكونية لتحديد طبيعة المسيح، واقرار الايمان المسيحي.

٢. المجامع المسكونية ودورها في اقرار طبيعة المسيح:

انعقدت المجامع المسكونية للنظر في الخلافات بين رجالات الدين والكنائس حول طبيعة المسيح، وتلك المجامع هي[٢]:

أ. مجمعي افسس الأول والثاني، وتقرير طبيعة المسيح (عليه السلام):

علمنا ان قسما كبيرا ذهبوا إلى ان للمسيح " طبيعتين؛ طبيعة إلهية وطبيعة إنسية، لأنه ابن الله، وابن الإنسان معا؟ فقد جاء من مريم، ومريم من البشر، فيكون بذلك قد اجتمع فيه، اللاهوت بالناسوت .." ، وقد عقد مجمع افسس سنة (٤٣١م)، لإقرار ذلك، وكذا الرد على بدعة نستور المخالفة لهذا، ويعد ذلك أول اختلاف وقع بينهم بعد إقرار الاقانيم الثلاثة.

وكان نستور هذا بطريك القسطنطينية سنة (٤٢٨م)، .. فقد ذهب نستور إلى القول بان مريم العذراء لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا، لان الإله وهبه المحبة النعمة، فصار بمنزلة الابن، فللقضاء على هذا المذهب الذي ينكر إلوهية المسيح من أصلها، وان كان يقول بالاقانيم الثلاثة، انعقد مجمع افسس الأول سنة (٤٣١م)، وقد لعن نستور وطرده. وكتب معظم أعضائه صحيفة قرروا فيها ان مريم العذراء ولدت إلهنا، وربنا

---

[١] ينظر: تاريخ الفكر المسيحي: ٦٦/٢.

[٢] ينظر: اطروحتنا لنيل شهادة الدكتوراه الموسومة: (جهود علماء المسلمين في دراسة الاديان ـ دراسة تحليلية نقدية ـ): ٢٥١ ـ ٢٥٥.

يسوع المسيح، وان المسيح الـه حق، وإنسان ذو طبيعتين، غير ان النسطورين قد انحازوا في عصورهم الأخيرة إلى الرأي القائل بامتزاج اللاهوت في الناسوت.. فانحرفوا بذلك عن المذهب الأصلي لزعيمهم..[١].

مع " ان مجمع افسس انتهى بإدانة النسطورية، إلا انه كان أكثر المجامع اضطرابا في تاريخ الكنيسة فقد تميز بالتراعات المريرة اللاهوتية، والكنيسة بين الأحزاب المتنازعة المتصارعة، وهذا عند الأرثوذكس مجمع مسكوني، وعند الكاثوليك وبتعبير بابا روما انه مجمع اللصوص"[٢].

ولم يحسم ذلك المجمع الخلاف في مسألة اجتماع العنصر الإنساني، والعنصر الإلهي في المسيح، فلم يقض على نحلة نسطور قضاء مبرما، وان كان قد نفاه.. بل نمت نحلته بعد ذلك في المشرق وذاعت في البلاد.. ولم يتم الخلاف في ذلك عند نسطور وأتباعه، بل ان كنيسة الإسكندرية قد خرجت هي الأخرى برأي جديد عرضته على الملا من الأساقفة، وجمعوا له جمعا قرروه فيه، ذلك الرأي: ان للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت، وانعقد لأجل هذا مجمع افسس الثاني الذي تسميه الكنسية الكاثوليكية مجمع اللصوص، وفي هذا المجمع أعلن ذلك الرأي..[٣].

واما الكنائس القائلة :" ان الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم، اقنوم الأب، واقنوم الابن، واقنوم روح القدس، وان الاقنوم الثاني اقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة

---

[١] ينظر: الاسفار المقدسة في الاديان السابقة، د. علي عبد الواحد وافي، ط١، مكتبة نهضة مصر١٣٨٣هـ ١٩٦٤م: ص١١٠ وما بعدها.

[٢] ينظر: دلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، (د. ت)

[٣] ينظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، دار الفكر العربي: ص ١٢٦. ويقارن : الأسفار المقدسة، د. علي وافي، ص١٠٩، ودلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، ٢/ ٤٥ وما بعدها.

واحدة من طبيعتين.. وقد اقر هذا المذهب معظم المجتمعين في مجمع افسس الثاني الذي انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي، واكتسب قوة بعد ان انتصر له في القرن السادس داعية قوي الحجة .. جريء في الجهر برأيه اسمه (يعقوب البرادعي)، حتى لقد أطلق على هذا المذهب اسم المذهب (اليعقوبي)، نسبة إليه.."[1]. ولم يحسم الأمر في طبيعة المسيح، فانعقد مجمع خليكدونية سنة (٤٥١م).

ب. <u>مجمع خليكدونية سنة (٤٥١م)</u>

انعقد مجمع خليكدونية(٤٥١م)، وسارت المناقشة بعد ذلك في جو عنيف متعصب وانتهى المجمع إلى ان قرر ان مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا ان المسيح له طبيعتان واقنوم واحد ووجه واحد..[2]وقد انتصر لمذهب ازدواج الطبيعتين الإمبراطور الروماني، بل انه هو الذي عمل على اجتماع مجمع خليكدونية، لينتهي إلى تقرير هذا الرأي في صورة حاسمة، ومن ثم يطلق على هذا المذهب اسم المذهب الملكي، أو الملكاني نسبة إلى الملك أي إمبراطور روما[3].

ت. <u>المجمع المسكوني السادس (٦٨١م):</u>

انعقد هذا المجمع في القسطنطينية وكان له الفصل في طبيعة ومشيئة المسيح بالرغم من وجود معارضين.

اعلن المجمع بشكل رسمي: " نصرح ان في المسيح مشيئتين وطبيعتين وفعلين بلا انقسام أو تحول أو انفصال أو اختلاط.. وهاتان المشيئتان لا تعارض احداهما الاخرى.. فمشيئته البشرية تخضع بدون مقاومة أو تلكّؤ للمشيئة الالهية الكلية القدرة.. اننا نعترف بصدور العجائب والآلآم عن الشخص الواحد نفسه، ولكن نعترف بأنها اما

---

[1] ينظر: الأسفار المقدسة ، د، علي وافي ، ص١٠٩.

[2] ينظر: الأسفار المقدسة، ص١٠٩ وما بعدها ، ومحاضرات في النصرانية، ص١٢٧

[3] ينظر: الأسفار المقدسة ، ص ١١٠.

لهذه واما للطبيعة الاخرى، وهو كائن بكليتهما، وان اجتمعت الطبيعتان معاً، فكل طبيعة منهما تشاء وتعمل ما تختص به، بدون انقسام ولا اختلاط ولا امتزاج، ولذلك نعترف بمشيئتين وفعلين متفقين احسن اتفاق لخلاص الجنس البشري[١] .

مما تقدم خلصنا الى:

١) وجود الانشقاق بين رجالات المسيحية، واختلافا يكون بعيد المدى في الأجيال المقبلة، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فمنهم من يرى ان المسيح له طبيعتان.. وهو بذلك يخالف النسطورين لأنهم يقولون: ان اقنوم الابن لم يكن من العنصرين بل من العنصر الإنساني وحده، ويخالف قرار افسس الثاني، الذي يقول ان المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس، ومن مريم العذراء مصيِّرا هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة، وقد بدأت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة .."[٢].

٢) العقائد التي قررتها المجامع، هي:

أ- تقرير عقيدة ألوهية المسيح.

ب- تقرير عقيدة ألوهية الروح القدس.

ت- تقرير عقيدة ان المسيح اجتمع في الإنسان والإله، لا الإنسان فقط، وان مريم ولدت الاثنين.

ث- تقرير طبيعة المسيح ذو طبيعتين منفصلتين، لا طبيعة واحدة متحدة.

من اجل هذا خلص القديس يوحنا الدمشقي القول الى : " فلما قرروا ان المسيح هو نفسه اله كامل وانسان كامل وله طبيعتان الهية وناسوتية، وعليه

[١] كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى: ٤٦/٢.

[٢] محاضرات في النصرانية/ الشيخ محمد ابو زهرة: ١٢٨ ومابعدها.

يكون الخواص الطبيعية لكل من الطبيعتين، أي المشيئتين اثنين الهية وانسانية، وفعلين اثنين، الهي وانساني، وحريتين اثنين الهية وانسانية، فهو مساو لله الاب في الجوهر، ويشاء ويفعل بحرية الله، وبما انه مساو للانسان في الجوهر، فهو يشاء ويفعل بحرية كالإنسان نفسه، فالعجائب عجائبه، والالام الامه" [١].

هذه خلاصة جلية لدى الدمشقي غير انه لابد من النظر حول تلك المقالات من حيث اعتبارها لدى المذاهب المسيحية، لتحقق اجماعاً يؤول الى الشرعنة، ويوجه الايمان المسيحي حيال الثوابت العقدي. لذلك لابد من بيان مقالاتهم في مشيئة المسيح (عليه السلام)، فضلاً عن مجامعهم المسكونية التي لها الدور الاعظم في اصدار القرارات العقدية وغيرها..

الخاتمة واهم النتائج

بعد هذه الرحلة العلمية في ثنايا كتب اللاهوت المسيحي، التي حاولنا من واقعها بيان التوصيف اللاهوتي لطبيعة المسيح (عليه السلام)، خلصنا الى نتائج قد تعد من اهم ثمار الدراسة، نجملها بما يأتي:

١. تبين لدى الباحث ان الديانة المسيحية هي ديانة تاريخية تبلورت عقائدها ومسائلها الشرعية عبر ازمان مختلفة، حاول رجالات الدين اقرارها عبر وثائق المجامع المسكونية، فاخذت ردحاً هاماً من الزمان، فضلاً عن اختلافاتهم التي سجلتها كتبهم التاريخية.
٢. تبين لنا ان العقيدة تبلورت جراء اضفاء الصبغة الفلسفية التي دأب عليها اللاهوتيون، فضلاً عن فلاسفتهم، فالمسيح(عليه السلام)، كان النواة التي تركزت عليها تلك الفلسفات، فاخذ التأويل الفلسفي يتجذر عنه مقالات كونت

[١] المائة مقالة في الايمان الارثوذكس للقديس يوحنا الدمشقي: ١٧٥.

بالنتيجة العظمى الفرق والمذاهب المسيحية. وشاهد مقالاتهم مبسوطة في كتبهم الدينية.

٣. اثمرت الدراسات اللاهوتية والفلسفية في توصيفها لله(عزوجل)، عن اثبات الوحدانية والصفات الجلية، الا انها ارتكست عندما اعطوه الصفات الجوهرية التي تتماز بالحدوث والتغيير وهي بجملتها ممتنعة على الله تعالى.

٤. يعد المسيح (عليه السلام)، النعمة المجانية لسائر البشر، وهي ثمرة الدراسات اللاهوتية حول النعمة الالهية المجانية، التي اسموها بالخيرية الالهية، ويتحقق بالمسيح الصلاح الالهي بعدما افسدته الخطايا.

٥. كما يعد المسيح(عليه السلام)، الكاشف الاوحد الذي يكشف للناس عن ماهية الله تعالى، باعتبار ان الابن الوحيد الذي يخبر عن صفات ابيه ومشيئته وافعاله وعنايته. وفي ذلك تحقق البعد اللاهوتي لمشيئة المسيح(عليه السلام)، وطبيعته. ثم دمج العلاقة بين اقنوم الاب واقنوم الابن لتصبح متساوية عبروا عنها بـ (وحدة الطبيعة).

٦. تبين للباحث ان التجسد هو اعلان الهي قائم عندهم لم ينته وان صعد المسيح(عليه السلام)، ورُفع. وقد وجدنا عند التحقيق ان هناك تكلف فكري متمثل بفلسفة التحول الارادي، الذي هو تحول ناسوت المسيح من الموت والفساد الى عدم الموت وعدم الفساد وبعدم الموت. لان الكلمة لاتموت لانه ابن الله لايموت. ولان طبيعة المسيح بالنسبة لطبيعة الله متساوية، اي (اله من اله). فكيف عندهم يموت الاله؟.

٧. كما لاحظ الباحث وجود اضطراب في توصيف التجسد، فجعلوا الكلمة التي تردعت جسداً بعدما أُلقي في مريم(عليها السلام)، غير انها لم تختلط بالطبيعة البشرية، فاي توصيف هذا؟ كيف يكون هذا في الواقع البشري اذا ما

اردنا وصف ادوار الحمل والولادة؟ وما اثر الجسد الانساني في تغذية الجنين ونموه؟

٨. لم يجزم التوصيف اللاهوتي لطبيعة المسيح(عليه السلام)، ومشيئته، بل صاروا فرقاً شتى عمدوا الى الاحتكام الى المجامع المسكونية، واصدار الاقرار الايماني . بخصوص طبيعته ومشيئته، دل ذلك على عدم امتلاكهم الدليل النصي المقدس المعصوم عن التغيير والتبديل. الذي يعد الفيصل الرئيس في المسائل الاعتقادية.

وختاماً اسال الله تعالى ان اكون قد وفقت في دراستي وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وهو رب العرش العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١. الاسفار المقدسة، د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر الفجالة/ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ط(١)
٢. تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري، القاهرة، دار الثقافة، ط(١)، ١٩٨١م
٣. تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، يوسف كرم، راجعه د. هلا رشيد امون، دار القلم.
٤. تاريخ المسيحية ، حبيب سعيد، دار الجيل للطباعة ، مصر.
٥. التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، المطبعة الخيرية، مصر،ط١، ١٣٠٦.
٦. التفسير الكبير ، الفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. التمهيد ،الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت،١٩٧٥
٨. دلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، (د. ت)

٩. دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، الاب جان كمبي، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م، ط(٢)
١٠. سر التجسد، بحث منشور على موقع الموسوعة الحرة: تاريخ الزيارة ١٥ تموز ٢٠١٥م.
١١. طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الاكليريكية للاقباط، القاهرة، ١٩٩١م.
١٢. علم اللاهوت النظامي، القس جمس انس، راجعه القس منيس عبد النور.
١٣. علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الارثوذكسية، القمص ميخائيل مينا، القاهرة.
١٤. القاب المسيح في اللاهوت، الاب متى المسكين، دير القديس أنبا مقار برية شيهيت.
١٥. قاموس الكتاب المقدس ، تاليف نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين.
١٦. كنيسة مدينة الله العظمى، اسد رستم، المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٨٨م
١٧. المائة مقالة في الايمان الارثوذكس للقديس يوحنا الدمشقي.
١٨. محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، دار الفكر العربي.
١٩. محاضرات في تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس الرسولي، د. جورج حبيب بباوي، موقع الدراسات القبطية الارثوذكسية/ ٢٠٠٩م.
٢٠. موقع: st– takia. Org ، موقع مسيحي: تاريخ الزيارة ٢٠١٥/٧/١٥م.